المقام وتوجيه الدلالة للظواهر التركيبية في نهج البلاغة

(أسلوب الأمر انموذجا)

المدرس الدكتورة

جنان محمد مهدي

(جامعة بغداد - كلية التربية للبنات)

المقام وتوجيه الدلالة للظواهر التركيبية

في نهج البلاغة - (أسلوب الأمر انموذجا)

المدرس الدكتورة: جنان محمد مهدي

(جامعة بغداد - كلية التربية للبنات)

المقدمة

تعد مسألة دراسة الظواهر التركيبية لنص ما وما يحيطه من قرائن وظروف أهم أركان فهم وإدراك المعنى، وهو الغاية والقصد الذي يبتغي مبدع النص إيصاله إلى ذهن المتلقي أو المخاطب، فاللغة نظام اجتماعي ينتظم عبر أساليب لغوية تربطها علاقات أسلوبية ومقامية تحدد الغرض من الخطاب.

وهذا يعني أن ثمة عناصر لغوية وغير لغوية لها أثرها الكبير في تحديد المعنى، إذ إن معنى النص يتضح ويبين حين تُعرف ما يحيط به من ملابسات وظروف تتصل بالمكان أو المتكلم أو المخاطب فتعطيها ملامح دلالية يولدها نوع من السياق يُعرف بـ (مقتضى الحال) أو (المقام) كما يطلق عليه علماء العرب القدماء من لغويين وبلاغيين ومفسرين، الذين نبهوا إلى مثل هذا النوع من أنواع الدلالة اللغوية دون التنظير له

كما فعل المعاصرون الذين أطلقوا عليه (سياق الحال) أو (contest of stuation).

وما هذا البحث إلا محاولة هدفها إبراز الجوانب المضيئة للفكر اللغوي العربي القديم وسبقه في ريادة ميدانٍ أصيل لدراسة المعنى تمثل بخطب ومواعظ بليغ البلغاء الإمام علي (عليه السلام) وسبقه في تأصيل أسلوبية النص عبر أساليب متنوعة الصياغة ذات تراكيب إيحائية ورمزية لمعانٍ ثوانٍ لها قدرتها التعبيرية الفائقة في التأثير والتوجيه في نفس متلقيها.

وقد اخترت دراسة (المقام أو السياق الحالي) وأثره في توجيه دلالة تركيب أسلوب الأمر في نهج البلاغة، وكيف أن دلالة الأسلوب تتغير وتتنوع لتخرج من معناها الأصلي إلى معان فرعية يحددها مقتضى الحال أو المقام الذي قيلت فيه لتتلون تلك المعاني من أمر ووجوب إلى ندب أو دعاء أو توبيخ وتقريع أو وعيد.

وتبعًا لذلك فقد قسمت البحث إلى مقدمة بينت فيها الغرض الأساس من موضوع البحث وتمهيد تناول إضاءات عن اللغة كنشاط اجتماعي منتظم في بنية تركيبية تحمل في طياتها المعاني والدلالات المقصودة في نسق من

الألفاظ والأساليب، فضلا عن أسلوب الإمام (عليه السلام) في خطبه ومواعظه وابرز سمات أسلوبه.

أما مباحث البحث فقد قسمتها إلى ثلاثة مباحث: فجاء عنوان المبحث الأول (المقام والدلالة) وخصص للحديث عن المقام ونظرية السياق والدلالة بدءًا بالحديث عن السياق وأنواعه التي يتفرع منها السياق الحالي أو سياق الموقف كما يطلق عليه المعاصرون وتأصيل البحث والدراسة فيه في الفكر اللغوي والتراث العربي وعلاقته بمباحث الدلالة، فضلا عن الحديث عن المباحث الدلالية في الدراسات اللغوية القديمة والحديثة.

على حين استهل المبحث الثاني وهو بعنوان (الجملة والتركيب) بدراسة النحاة القدماء للجملة الذين بحثوها تحت مصطلح الكلام ولم يحددوا الصورة الشكلية للجملة فكانت دراستهم تحليلية لا تركيبية، على العكس من المعاصرين الذين أضحت الجملة والتركيب المنطلق الأساس لدراسة اللغة لديهم.

أما المبحث الأخير فكان دراسة تطبيقية لأسلوب الأمر وصيغه ودلالاته عند النحاة والبلاغيين

ومعانيه الثواني التي يخرج إليها واختلاف تلك المعاني بحسب مقام النص وغرضه.
وذيلت البحث بخاتمة موجزة لأهم النتائج التي توصل إليها البحث.

التمهيد

استقطبت اللغة اهتمام المفكرين منذ أمد بعيد، بوصفها ظاهرة اجتماعية دارت عليها حياة مجتمعاتهم الفكرية والاجتماعية، فحظيت بنصيب كبير من الدراسة والبحث كونها أهم وسائل الاتصال والتفاهم بين البشر، فالتخاطب هو جوهر اللغة ومفتاح المعنى ولا يتم هذا التواصل إلا عبر بنية تركيبية متكاملة من حيث الألفاظ والجمل والدلالات.
ولابد لهذا التواصل من عوامل ستة ينبغي توفرها في أية عملية اتصال، وهي: ١- الباث، أو المخاطِب (بكسر الطاء)، ٢- المتلقي، أو المخاطَب (بفتح الطاء)، ٣- السياق، ٤- السنن أو الشفرة، ٥- وسيلة الاتصال، ثم ٦- الرسالة نفسها.(١)
فاللغة إذن نظام يعتمد في أساسه على مجموعة من العناصر اللغوية التي ترتبط مع بعضها وفق علاقات معينة لتعبر عن المعنى.

وقد دأب علماء اللغة إلى النزوع نحو هدف اثبات معنىً محدد للكلمة أو الجملة، استنادًا إلى مستويين اثنين هما: مستوى التركيب ومستوى المضمون ولكنهما لا يكفيان لتحديد شامل كامل لدلالة الجملة أو الكلمة، وإنما وجب تظافر عدة أنظمة تراعي في اعتبارها عالم المتكلم وعالم المتلقي وطبيعة الخطاب وعناصره.

وتبعا لذلك فإن الألفاظ تترتب في التراكيب وفقًا لوظيفة التواصل، أي رصد العلاقات بين الأنماط التركيبية المختلفة والوظيفة الافصاحية وتستلزم الرسالة التواصلية بين المرسل والمتلقي تنوع الأساليب بحسب المقام والسياق، لذا يمكن القول بأن الأسلوب منظومة تواصلية بالغة التأثير في المتلقي وهو في ذات الوقت صنوان السياق.

لقد عرّف الأسلوب بأنه ((طريقة تأليف الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير)). (٢)

وعدّ تفرد أسلوب المتكلم أو المخاطِب أمرًا تابعًا لقدرته وقابليته على توظيف مفردات وتراكيب تواءم مستوى تفكير وثقافة المخاطَب ومراعاة أحواله ومناسبة النص للظروف المحيطة به من زمان ومكان.

وقد امتاز الأسلوب العربي بسمات كان من أهمها: القوة والتناسق والجمال، ولو حاولنا استنطاق لغة وأسلوب النص في كتاب نهج البلاغة - مدار البحث – لألفينا أن تلك السمات تظهر جلية وتتآلف لخدمة مضامين ومعاني ودلالات النص، فالمتتبع للنصوص يجد أنها كانت وليدة الحال التي ألقيت فيها مع امتلاكها قوة التأثير في نفس متلقيها ؛ ذلك لأنها تحمل في طياتها أساليب توجيهية ناسبت أحوال متلقيها وتفردت بقوة الإقناع التي استندت إلى الجدل المنطقي المقنع، كما أنها نبهت على بلاغات فكرية وحضور عقلي واستعمال منطقي وأسلوبي للغة مع تمكن من أداتها وتراكيبها ودلالاتها، وهذه الأخيرة التي دعت إليها الأسلوبية الحديثة اليوم.

فالأسلوب يمتاز بعمق في الدلالة مع الإيجاز وقوة التأثير ورصانة الصياغة وتنوع الأساليب وتباينها بحسب تباين مستويات متلقيها وثقافته، فالخطب والوصايا اشتملت على منهاج ديني ثقافي توجيهي شامل، خلاصته رياضة النفس على الهداية والطريق القويم، وهذا ما سأحاول تلمسه وتبيانه – إن شاء الله – في صفحات البحث.

المبحث الأول: المقام والدلالة

يعد المقام نوعًا من أنواع السياق غير اللغوي ولابد في البدء من استكناه مفهوم السياق وأنواعه بشقيه اللغوي وغير اللغوي ((فالموضوعية العلمية في الدرس اللغوي الحديث، تملي بل تفرض على الباحثين ضرورة تأطير بحثهم تأطيراً علمياً دقيقاً، خاصة إذا كان البحث يتوخى تأصيل الدراسة، والتنقيب عن جذورها في التراث المعرفي المتنوع، سعياً منه إلى ربط الحقائق العلمية الحديثة بأصولها الأولى))(٣).

فالسياق في اللغة من ((ساق الإبل يسوقها سوقًا وسواقًا وسياقًا.. والسياق نزع الروح)) (٤)، وهو ((المهر، وسياق الكلام: تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه)) (٥)، أما في الاصطلاح فقد عرفه المحدثون بأنه ((بناء كامل من فقرات مترابطة في علاقته بأي جزء من أجزائه التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة)) (٦)،

كمـــا عـرّف بأنـه((تتـابع الكـلام وأسـلوبه الـذي يجري عليه)).(٧)

فالسـياق إذن نسـق الكـلام ومجـراه وكـل سـياق يجــري فــي موقــف تواصــلي بــين المــتكلم والمخاطب وديناميكية متحركة وهو ليس مجرد حالـة لفظ بل متوالية من أحوال اللفظ متغايرة الأحداث.(٨)

وقد قسم السياق إلـى أنـواع تندرج ضـمن نـوعين رئيسين هما: السياق اللغوي الذي يشمل السياق الصـوتي والصـرفي والنحـوي، والسـياق غيـر اللغوي الذي يشمل السياق الاجتماعي والسياق التاريخي وسياق الحال أو سياق المقام.

ولم يغفل النحاة والبلاغيون قديما أمر السياق بـل فطنـوا لـه وألمحـوا إليـه ولـم يقتصـروا علـى النظـر فـي بنيـة الـنص اللغويـة وإنمـا انصـب اهتمــامهم علــى مراعــاة المخاطــب وأحــوال الخطـاب، فمفهـوم (المقـام) ورد فــي الدراسـات اللغوية القديمة ودرسه البلاغيون تحت مصطلح المقـام أو مقتضـى الحـال، وكانـت أول إشـارة لـه بقول بشر بن المعتمر فيما نقله الجاحظ عنه حين قال: ((المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني

الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة.
وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال)) (٩)، ولم يكن هذا الأمر بعيداً عن النحاة، فسيبويه يعد من الرواد الذين أهتموا بعناصر سياق الموقف المتمثلة في المتكلم والمخاطب والعلاقة بينهما، فلو تأملنا في باب (ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهي) قول سيبويه: ((لو رأيت ناساً ينظرون الهلال وأنت منهم بعيد فكبروا لقلت: الهلال ورب الكعبة أي أبصروا الهلال)) (١٠)لوجدنا أن المقام وسياق الموقف هو الذي كشف الحال التي عليها المخاطب وبين لنا المعنى.(١١)
ففكرة المقام إذن كانت حاضرة في أذهان النحاة العرب القدامى إلا أنهم اكتفوا في كثير من الأحيان بالوصف دون التنظير(١٢)، على العكس من اللغويين الغربيين الذين نظّروا للسياق كنظرية عرفت بنظرية السياق التي أضحت نظرية دلالية متكاملة على يد العالم

الانكليـزي " فيـرث" (Firth) الـذي استند إلـى آراء الانثربولـوجي " مالينوفسكي " الـذي نبـه وأكد على الوظيفة الاجتماعية للغة وتابعه فيرث مشيراً إلى أن معاني التراكيب والكلمات تستلزم تحليل السياقات والمواقف التي ترد فيها(١٣).

وقد عدت هذه النظرية ((من أفضل المناهج لدراسة المعنى بسبب ما تميزت به من عناية بالعناصر اللغوية والاجتماعية)).(١٤)

إن أهمية السياق تتأتى من أنه يحدد الدلالة المقصودة من اللفظة في جملتها أو تركيبها الذي انسبكت فيه، ولا تعرف دلالتها بمعرفة السياق اللغوي فقط وإنما تتحدد الدلالة بتضافر سياق المقام أو الحال الذي وردت فيه مع سياقها اللغوي، إلا أن فكرة المقام تعد ((المركز الذي يدور حوله علم الدلالة))(١٥) في وقتنا الحاضر.

كما أن أهميته في التحليل الدلالي تتأتى من تعيين قيمة الكلمة واكتسابها دلالات ثوانٍ تعكسها التأثيرات السياقية باختلاف مناسبة القول.(١٦)

مما يدعو للقول بأن دلالة الكلمة تتلون بحسب مقامها الذي تندرج فيه ويمكننا تبعا لذلك اطلاق تسمية " الدلالة المقامية" على سياق الموقف الذي وردت فيه.

المبحث الثاني: الجملة والتركيب

دأب النحاة على تحديد مصطلحات تؤلف نمط النشاط اللغوي مثل (الكلمة) و(الكلام) و(الجملة)،غير أنهم لم يفرقوا بين مصطلحي (الكلام) و(الجملة) من حيث المعنى فاختلط لديهم كلا المصطلحين فالجملة هي الكلام،ولعل ما ذهب إليه ابن جني من قوله بأن الكلام ((إنما هو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها، المستغنية عن غيرها، وهي التي يسميها أهل هذه الصناعة الجمل، على اختلاف تركيبها))(١٧) دليل على صحة ذلك، فشرط الكلام عند ابن جني هو أن يفيد معنىً تامًا يحسن السكوت عليه، والى مثل هذا ذهب كل من الزمخشري في المفصل وابن يعيش في شرح المفصل، فعدوا الجملة مرادفة للكلام.(١٨)

أما دراسة الجملة والتركيب في النحو العربي فقد تمثلت بكونها مصطلحات ذات دلالات متقاربة يراد بها ((ضم الألفاظ بعضها إلى بعض

أو نظمها في بناء متكامل المعنى، يفيد المخاطب ما يحسن السكوت عليه)) (١٩)، وكانت السمة البارزة لمتقدمي النحاة العرب أن دراستهم للجملة والتركيب لم تكن ذات ملامح محددة أو واضحة رغم التفاتهم وعنايتهم بهما، أي أن الجملة لم تكن نقطة البدء في دراستهم، ذلك لأنهم لم يحددوا الصورة الشكلية لها تحديدًا دقيقًا (٢٠)، فالقارئ للكتب النحوية المتقدمة يجد أن ترتيب المباحث كان على أساس المفردات ووظيفتها وهذا يعني أن دراسة النحو ((كانت تحليلية لا تركيبية أي أنها كانت تعنى بمكونات التركيب، أي بالأجزاء التحليلية فيه أكثر من عنايتها بالتركيب نفسه)) (٢١)؛ ذلك لأن النحاة الأوائل درسوا الأبواب النحوية في ضوء وظائفها بالتركيب ودرسوا أحوال اللفظ وعلاقته بغيره من الألفاظ داخل التركيب (٢٢) ((فمن يقرأ بابي " المسند والمسند إليه " و " الاستقامة من الكلام والإحالة " (٢٣) في كتاب سيبويه يجد حديثه عن التركيب حديث العارف بأسراره ويعرف أنه كان حاذقًا في التمهيد لكتابه بمباحث تعد الأساس في البحث النحوي لينفذ منها إلى ما هو أكثر تفصيلًا، وذلك بالانتقال من موضوعات

التركيب إلى بيان مواقع أجزاء الجملة وعلاقتها بعضها مع بعض))(٢٤).

فصنيع سيبويه هو مما يستدل به على أن عدم التصريح بالمصطلح وحدّه لا يعني عدم المعرفة بالمفهوم وأن دراسة النحاة كانت منصبة على دراسة " التركيب " دون التنظير له.

ويمكن أن يعزى عدم وضوح معالم الجملة إلى مسألة غاية في الأهمية إلا وهي أن النحو بدأ وصفيًا وابتعد عن التحليل والتعليل الذي كان ملمحًا تميزت به كتب النحو المتأخرة التي أولعت بالمنطق والفلسفة ووجهت دراسة النحو إلى المعيارية على أساس نظرية العامل، إذ لم تكن الغاية التعقيد للقواعد وتعليلها.

غير أن ثمة إشارات بارزة للنحاة المتقدمين نظّرت للجملة وتناولتها بالدراسة كانت أبرزها دراسة أبي علي النحوي في كتابه " المسائل العسكريات " الذي عقد بابًا اسماه: ((باب ما ائتلف من هذه الألفاظ الثلاثة كان كلامًا مستقلا وهو الذي يسميه أهل العربية الجمل)) (٢٥)،

تابعه الزمخشري في رسالة " المفرد والمؤلّف " وقد بيّنا مباحث الجملة الرئيسة واقسامها ومعانيها (٢٦)، وقد نضجت الدراسات الجادة

للجملة والتركيب فيما بعد على يد عبد القاهر الجرجاني الذي رسم بنظرية النظم ملامح للبحث المستند إلى أصول ثابتة في تركيب الجملة ودلالاتها فكان النظم ترجمة لمصطلح الجملة والتركيب أو وجهًا آخر لهما ودليلاً على جهد يشار له بالبنان للنحاة القدماء في مجال دراسة التراكيب ومعانيها المختلفة.

فالتراكيب المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني دلالة على المعاني المتفاوتة من حيث الوضوح والعمق والتأثير، وما أغراض الكلام إلا تعبير عن المفهوم الجوهري للغة وهو بهذا أقرب إلى المنهج التركيبي في نظرية المعنى الحديثة ؛ إذ إن التركيب عنده كلٌ متكامل على العكس من النحاة المتقدمين الذين نظروا إلى الأجزاء ثم التركيب.(٢٧)

فعبد القاهر سبق الفكر الغربي في معرفة التركيب وهو بنظرية النظم يكون قد طابق ما يطلق عليه الغربيون اسم "Syntaxe" أو علم التركيب الذي يختص "بدراسة العلاقات داخل نظام الجملة وحركة العناصر".

غير أن أول دراسة أضاءت السبيل وجمعت الشتات للجملة والتركيب كانت لابن هشام في كتابه " مغني اللبيب عن كتب الأعاريب " الذي جعل الجزء الثاني منه خاصا لدراسة الجملة

وميز بينها وبين الكلام وبيّن أقسامها وأسهب في شرحها وتفصيلها وفصل بين الجمل التي لها محل من الإعراب والتي ليس لها محل من الإعراب.

أسلوب الأمر وصيغه ودلالاته

كان المعنى ولايزال الغاية والقصد من وراء أساليب الكلام، وقد شغلت دراسة معاني الجمل وأساليب التركيب النحاة الذين درسوا تلك المعاني دون تبويب منظم لكنها انبث ضمن الأبواب النحوية،أما البلاغيون فإنهم باعترافهم بفكرة " المقام " متقدمون على ألف سنة على زمانهم ((لأن الاعتراف بفكرتي " المقام " و " المقال " باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة))(٢٨) وكان للبلاغيين قصب السبق في جعل معاني الكلام قسماً قائما بنفسه إلى جانب البيان والبديع، إلا أن دراستهم لها استندت إلى أحكام النحاة وقواعدهم وأصول النحو وقد تميز البلاغيون عن النحاة بأنهم شعبوا المعاني التي يخرج إليها المعنى الأصلي، واستعمل النحاة القدامى مصطلح (معاني الكلام)

للتعبير عن ائتلاف الكلام وما يتفرع عنها من معانٍ فرعية وفقا لسياق الكلام وقرائنه، وقد وسمها الباحثون المحدثون في علوم البلاغة والنحو بـ:(الأساليب) فقالوا أسلوب النداء أو أسلوب الأمر أو أسلوب النهي...(٢٩)

لقد خص النحاة أسلوب الأمر في صيغة برزت عن غيرها من صيغ الأمر ألا وهي فعل الأمر ونظروا إليه من جهة أحوال بنائه وارتباط الضمائر والحروف بتلك الأحوال فالأمر: هو طلب الفعل على وجه التكليف والإلزام وقد اشترط البلاغيون أن يكون طلب الفعل على جهة الاستعلاء (٣٠)،أما النحاة فقد فرّقوا بين استعمال الصيغة في الأمر وفي الدعاء(٣١).

فابن السراج يذهب إلى أن ((أصل الدعاء أن يكون على لفظ الأمر، وإنما استعظم أن يقال أمر، والأمر لمن دونك، والدعاء لمن فوقك))(٣٢).

ويمكن القول بأن هذا التفريق بين المعاني يستند في أساسه على مراعاة المخاطب والمقام ؛ إذ يتحدد وفقا لسياق الكلام ما إذ كان الأمر في هذا التركيب أمرا واجباً أو دعاءاً ومسألة وهذا يعني

أن النحـاة أدركـوا الفـروق الدقيقـة بـين معـاني الأمر.
وللأمر صيغ تؤدي معنى الأمر هي:
١. صيغة (أفْعَلْ)

٢. صيغة (ليَفْعَلْ)

٣. صيغة المصدر
٤. صيغ أسماء الافعال
٥. الأمر بصيغة الخبر (٣٣)
ويخرج الأمر إلى معانٍ كثيرة غير معنى طلب حصول الفعل، تعرف معانيها من السياق المقالي وقرائنـــه والســـياق الحـــالي والمقـــام وحـــال المخاطب، وكان ابن فارس قد أشار لها وأجملها في كتابه " الصاحبي في فقه اللغة " (٣٤)، فقد يخرج الأمر إلى معنى الندب أو الوعد والوعيد أو الترغيب والترهيب أو التعجب..
وبـالعودة إلـى أسلوب الأمـر ودلالاتـه فـي نهـج البلاغة نجد أن تنوع الأسلوب يتناسب مع حال المخاطَب وسياق المقام الذي ورد فيه، ويدفع هـذا الأسـلوب بالمخاطَـب إلـى التـدبر والعظـة، فالمتأمل لنصوص نهج البلاغة يجد أن أسلوب الأمر يحمل في طياته كثيراً من المعاني الثواني التـي يخـرج لهـا هـذا الأسلوب، فممـا جـاء علـى معنـى الوجـوب والالـزام مـا ورد فـي خطبـة لـه

(عليه السلام) في جور الزمان وقسمة الناس على أقسام، فقال:((فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة القَرظِ وقُراضة الجلم، واتَّعظوا بمن كان قبلكم، قبل أن يتَّعِظ بكم مَنْ بعدكم، وارفضوها ذميمة فإنها قد رفضت مَنْ كان أشغف بها منكم))(٣٥).

ويخرج أسلوب الامر إلى معنى التذكير والترهيب وذلك في خطبة له بالحث على التزهيد في الدنيا وبيان نعم الله على الخلق، وذلك حين قال: ((ألا وإن الدنيا قد تصرمت، وأذنت بوداع، وتنكَّر معروفها وأدبرت حَذَّاء،... فأزمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدار المقدور على أهلها الزَّوال، ولا يغلبنكم فيها الأمل، ولا يطولنَّ عليكم الأمد))(٣٦).

وقد يتخذ أسلوب الأمر معنى الندب والعظة إلى جانب الترهيب، ولعل مما ورد في خطبة له (عليه السلام) في الاستعداد للموت خير دليل على ذلك،إذ قال: ((فاتَّقوا الله عباد الله، وبادروا آجالكم بأعمالكم، وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم، وترحَّلوا فقد جُدَّ بكم واستعدوا للموت فقد

أظلّكم وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا...))(٣٧).

ووظف (عليه السلام) أسلوب الأمر على جهة المسألة والدعاء، وذلك في خطبة له علّم الناس فيها الصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: ((اللهم داحي المدحوات وداعم الممسوكات وجابل القلوب على فطرتها شقيِّها وسعيدها. اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك، على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق، والفاتح لما انغلق، والمعلن الحقَّ بالحقِّ...))(٣٨).

وقد يخرج أسلوب الأمر إلى معنى التوبيخ والذم كما جاء في خطبة له (عليه السلام) في النهي عن عيب الناس،إذ قال: ((يا عبد الله، لا تعجل في عيب أحد بذنبه، فلعله مغفور له، ولا تأمن على نفسك صغير معصيةٍ، فلعلك معذبٌ عليه. فليكففْ من علم منكم عيب غيره لِما يعلم من عيب نفسه، وليكن الشكر شاغلاً له على معافاته مما ابتلي به غيره)).(٣٩)

من كل ما تقدم يمكن القول: إن تنوع الأساليب كان وفقاً للمقام الذي قيلت فيه،وأن الخطاب فيها

تارة يكون لإرشاد النفوس والعقول وتارة لتثبيتها على الطريق القويم بالتدبر والتفكر والإنابة وانتظم في سلسلة لغوية تركيبية تمتلك قوة الإيحاء وقدرة التأثير.

الخاتمة

تتطلب دراسة المعنى دراسة ما يحيط و يستفاد من دلالات ومعاني التركيب والأساليب المؤلفة للنصوص، وعليه فدراسة المعنى تتطلب تحليلاً للسياقات اللغوية وغير اللغوية وهذه الأخيرة تستلزم تظافر عدة أنظمة تأخذ في اعتبارها عالم المتكلم وعالم المتلقي وطبيعة الخطاب وعناصره.

وقد حاول البحث بيان أثر السياق الحالي أو المقام في توجيه الدلالة في أسلوب من أساليب العربية وهو أسلوب الأمر عبر استنطاق دلالاته في نصوص نهج البلاغة، وقد تبينت جملة نتائج بعد البحث يمكن اجمالها بالآتي:

١- إن قراءة نقدية تحليلية للتراث اللغوي العربي تفضي للقول بأن العرب كانوا سباقين في الكشف عن ملامح نظرية المعنى والتأسيس لمناهج الدراسات الحديثة للتركيب، إذ راعوا الصلة بين المتكلم والسامع واللغة والاستعمال والمعاني والدلالات، وهذا هو التأصيل للنظرية

الكاشف عن الوجه الآخر لثراء للفكر اللغوي العربي.

٢- إن النص هو الوسيلة المثلى للتواصل وقد أدركها العرب بحسهم وذائقتهم ، فميزوا بين القدرة اللغوية والقدرة الخطابية عبر معرفة الترابط بين التراكيب اللغوية واستعمالاتها بحسب سياقاتها التي تكشف عن مقصود النص ومعناه.

٣- كان تنوع الأساليب في نصوص نهج البلاغة منبهاً على بلاغات فكرية وحضور عقلي منطقي لاستعمال اللغة مع تمكن من أداتها وتراكيبها ودلالاتها وأصالة في التعبير حسب المواقف والأحداث فناسب اللفظ فيها سياق حال المخاطب.

٤- دل استنطاق النص في نهج البلاغة على ما أكدته النظريات الحديثة من مراعاة المتلقي وأحواله مما يدعو إلى القول بأن العرب كانوا أسبق في التأصيل لهذه النظرية قبل غيرهم من الغربيين والمحدثين.

٥- لم يغفل علماء اللغة العرب دراسة المعاني والأساليب والأغراض والمقاصد وأن كانت دراسة الجملة والتركيب لديهم دراسة شكلية إلا أن المعاني كانت حاضرة في تآليفهم وأن لم تبوب ضمن إطار محدد الملامح.